وظائف السرد في الرسالة القشيرية دراسة تحليلة وفق منهج بروب

أ.م.د. سندس محمد عباس
أنثروبولوجيا الأدب
جامعة القادسية /كلية القانون
sondoa.mohammad@qu.edu.iq
07812373563

الملخص:
تسعى هذه الدراسة الى اعادة احياء التراث العربي القديم وذلك بواسطة دراسته بمناهج حديثة وتسليط الضوء على بنائه والخوض في غماره، فوقع الاختيار على الرسالة القشيرية، لما يحمله الادب الصوفي من جمال البناء والفكر والروح، ومافي الرسالة من حكايات والقصص تحمل الكثير من المعرفة الروحية والعقلية، تصلح لدراستها على وفق المناهج الحديثة واستنطاقها عن طريق المنهج المورفولوجي الذي اوضح لنا الية بناء الحكايات المكثفة الموجزة والمختزلة في وظائف محددة لكنها تعتمد على بث حدث جوهري ذو قيمة وظفها السارد لتحقيق الغاية المنشودة.
الكلمات المفتاحية: السرد ، القشيرية، الوظيفة، منهج، صوفي

The functions of narration in the Al-Qushayri treatise, an analytical study according to the Probe method

Dr. Sundus Mohamed Abbas
Anthropology of literature
Al-Qadisiyah University/College of Law
sondoa.mohammad@qu.edu.iq
07812373563

Summary
This study seeks to revive the ancient Arab heritage by studying it using modern methods, shedding light on its construction, and delving into its depths. The choice fell on the Qushayrite treatise, because of the beauty of structure, thought, and spirit that Sufi literature carries. The tales and stories in the message carry a lot of spiritual and mental knowledge, suitable for study according to modern methods and interrogation through the morphological approach, which explained to us the mechanism of constructing condensed, brief stories that are reduced to specific functions, but they depend on broadcasting a fundamental event of value that the narrator employed to achieve the desired goal.
Opening words: Narrative, Qushayriyya, function, method, Sufi

المقدمة
حظيت الدراسات السردية باهتمام واسع من الدارسين، وألفت فيها عدة مؤلفات ورسائل واطاريح جامعية، درست السرد في الادب بشقيه الشعري والنثري.
دأبت بعض الدراسات الادبية الحديثة ،الى اعادة احياء التراث العربي واستكشافه من جديد، بدراسته وفق مناهج حديثة، وتأتي هذه الدراسة محاولة لاستجلاء وظائف السرد القصصي، في واحدة من أهم الرسائل الصوفية وهي الرسالة القشيرية التي تدرس اليوم في جامعة الأزهر لما تتماز به من قيمة فكرية واسلوبية.
اتخذت الدراسة منهج (فلاديمير بروب) لدراسة (الرسالة القشيرية)؛ وهو منهج قائم على دراسة النص في ذاته ولذاته بواسطة بنيته التشكيلية، ويعد هذا المنهج ثورة منهجية حقيقية، لأنها ركزت على الشكل

أكثر من المضمون، وقدعُرِف هذا المنهج بالدراسات الشعبية على وجه الخصوص بالتحليل الوظائفي، نسبة إلى الوظيفة، وهي فعل الشخصية واهميتها لمسيرة الاحداث السردية .

الرسالة القشيرية

للإمام قطب الصوفية أبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بني محمد القشيري النيسابوري الفقيه الشافعي (465 -377) وتعرف "بالرسالة في رجال الطريقة أو رسالة المباركة" وأراد بتسميتها بالرسالة أن تكون في التصوف بمثابة رسالة الشافعي في أصول الفقه. كتبها إلى الجماعة عن الصوفية ببلدان الإسلام سنة 437.

يشير القشيري في مقدمة رسالته السبب تأليف الرسالة انحراف المتصوفة في عصره عن التصوف الحقيقي، ليس الاشكال في المذهب أو المبدأ، إنما الأشخاص والإعمال"حصلت الفترة في هذه الطريقة، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة، مضى الشيوخ كانوا بهم اهتداء وقلّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء" [1]

في المقدمة كتابه يؤكد القشري على قرب التصوف من الشريعة ، وأن التصوف مبني على الشريعة والتوحيد "اعلموا أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل"[2]

أما منهج القشيري ، فهو على طريقة القدماء في الكتابات الجامعة فقد جعل الباب الأول لعقائد القوم وعنون للباب (فصل في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول والتوحيد)

وجعل الباب الثالث في تفسير الألفاظ التي تدور بين هذه الطائفة بدءا بالوقت وانتهاء بالسر ثم أتى على أبواب متفرقة كالتوبة والخلوة والزهد والصمت إلى باب التوحيد على رغم أنه تكلم عن التوحيد في بداية الكتاب4- أبواب في حفظ قلوب المشايخ وجاء فيها على ذكر السماع والكرامات ومعنى الولي

5- وجعل الفصل الأخير لآفات المريدين

وتعد الرسالة القشيرية من اجمل ما كتب عن التصوف نظرا لاعتداله ودراسته لكبار شيوخ التصوف في عصر القشيرى واغلبهم عاشوا أو مروا او ولدوا بنيسابور ، كما أبدع الكتاب في سرد معظم الألفاظ التي تدور في تلك الطائفة وكذلك تضمنت كثير من سرد الحكاية والقصص

مفهوم السرد

مع بدء الخليقة بدأ السرد لأن "الكون وموجوداته يعيشان في سراب الكتابة منذ ان ابتدأ الزمان الى منتهاه"[3]،السرد يحيط بنا في كل مكان،ويوجد تقريباً في كل اشكال اللغة المكتوبة والشفاهية، ولغة الاشارة ، والايماءات، وفي الرسم والتاريخ، وكل مانقرأه أونسمعه، ونشاهده، من كلام عادي اوفني على حداً سواء، فالسرد متنوع وشامل ومنه نشأت الاجناس السردية المعروفة مثل الاساطير، والخرافات، والحكايات، والسيرة الشعبية، والقصص، والروايات وغيرها، ولكل شخص طريقة واسلوب معين بالسرد ينماز به عن غيره،مما انتج كم هائل من السرد عبر التاريخ ،منه المدون والمنقول شفاهي من جيل الى جيل، حفظ بعضه عن طريق التدوين ،وضاع الاخر لعدم تدوينه والاهمال.

وتدل كلمة (سَرَدَ) في معاجم اللغة العربية على عدة معانٍ منها "سَرَدَ الحديث يسرده سرداً، أي يتابع بعضه بعضاً"[4]،وكذلك "تقدمة شيء الى شيء تأتي به متسقاً"[5] .

فضلاً عن ذلك فان "السين والراء والدال أصل مطرد منقاس ووردت كلمة السرد في القران الكريم مرة واحدة لتدل على التسلسل والاتساق والتداخل والانضمام وتواليها بانتظام في نسيج محكم مترابط في قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[6]. وقال القرطبي "(وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) السَّرْدُ: نَسْجُ حِلَقِ الدروعِ[7] السّراد هو صانع الدروع.

والسرد مصطلح عرفه العرب منذ القدم، فقد ذكره ابن رشيق (ت 456هـ) في حديثه عن وحدة البيت قائلاً : "استحسن ان يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، الا في مواضع معروفة مثل الحكايات، وما شاكلها، فان بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة

السرد" [8]، وبذلك حدد صاحب العمدة السرد بالبناء والتتابع وجعل مواضعه الحكايات وغيرها من النصوص الحكائية.

علم السرد اصطلاحاً: من المصطلحات الادبية التي ظهرت في الدراسات النقدية تحت مظلة البنيوية، الانه "قديم النشأة (منذ عام1918 علي يد إيخنباوم)، ولم يظهر كمصطلح، إلا سنة 1969 علي يد تودروف[9]. ويسعى علم السرد الى تقديم تحليل منهجي يبرز خصائص النصوص السردية والمفاضلة بينها في مجالات عدة منها الجوانب النظرية والتطبيقة، بدراسة بنية السرد والياته[10].تعني بالسردية؛ الطريقة التي تروى بها الرواية، وبفضلها جعلت الرواية أدبا سردياً. كذلك تهتم السردية "باستنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، واستخراج النُظم التي تحكمها وتوجّه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها"[11] ،وهي "نظام نظري، غُذّي، وخصّب، بالبحث التجريبي"[12] ،يرى دكتور عبد الله ابراهيم ان مقومات موضع السرد البحث في

"مكونات البنية السردية للخطاب من راو ومروي ومروي له، ولما كانت بنية الخطاب السردي نسيجا قوامه تفاعل تلك المكونات، أمكن التأكيد على أن السردية، هي: المبحث النقدي الذي يعنى بمظاهر الخطاب السردي، أسلوبا وبناء ودلالة"[13]

الاهتمام والعناية بالسرد ادت على ظهور تيارين رئيسيين في علم السرد ،الاول السردية دلالية، التي تركز على افعال السرد، ولاتهتم بالشكل السردي الذي كونهما،لكن الاهتمام يتجلى بالمنطق الذي يحكم تعاقب الاحداث داخل السرد ، ويمثل هذا التيار بروب، وبريمون، وغريماس.

اما التيار الاخر الذي يمثله بارت، وتودروف، وجنيت، ركز جل اهتمامه بدراسة المظاهر اللغوية للخطاب السردي، ورواة، وأساليب سرد، ورؤى، وعلاقات تربط الراوي بالمروي.

حاول بعض الباحثين التوفيق بين هذين التيارين اذ اسهم كل من جاتمان وبرنس الافادة من التيارين: الدلالي واللساني، ودراسة الخطاب السردي بصورة كلية.

تتكون البنية السردية من علاقة متظافر بين السارد والمسرود له، فالسارد قد لايكون شخصية محددة، بل ربما يكون صوت أو ضمير يتوارى خلفه السارد، وينقل الاحداث المقترنة بالأشخاص في اطار زماني مكاني.

اذن السرد في الادب العربي له عدة مفاهيم واليات متعددة، ويعد جنساً ادبياً يشتمل على انواع قديمة وحديثة، ويتكون الخطاب السردي من عناصر اساسية هي الراوي والمروي والمروي له، ويمكن تحليله ودراسته ببنيته البسيطة والمركبة.

منهج بروب

يعد بروب ابرز الشكلانيين الذين مهدوا الطريق لظهور النقد البنيوي، وينماز بروب بتركيز جهوده البحثية لدراسة ادبي شعبي يتمثل بالحكايات الخرافية ،او حكايات الجن، واهمية هذه الدراسات والابحاث انها وضعت قواعد عامة لهذا النوع من القص الجمعي، الذي يعد قياساً للقص الفردي بمثابة اللغة الى الكلام على وفق طروحات دي سوسير[14].

يعد كتاب بروب (مورفولوجية الحكاية الخرافية)، حصيلة هذا التخصص وقد أثار ضجة كبيرة لدى ترجمته إلى الانجليزية عام 1985م وذلك؛ لأن مفكرًا كبيرًا مثل شتراوس أخذ في معالجته الأساطير بمنهج شديد الشبه بذلك المنهج لبروب، ونشر كتابه عن (الانثربولوجيا البنائية) مما جعل بعض النقاد يعده امتدادًا لمنهج بروب[15]. يمكتنا القول بفضل جهود دراسة فلاديمير بروب دخلت المنهج البنيوي مجال دراسات الشعبية وذلك بواسطة عمله الرائد (مورفولوجية الحكاية الخرافية) الذي لاقى اهتمام كبير بعد ترجمته، اذا وجد الباحثون ان تحليل المورفولوجي لايقتصر على الحكايات الشعبية الروسية بل بالإمكان ان يطبق على اغلب القصص والحكايات الشعبية العالمية .

لذلك يعد بروب رائداً في تصنيف الوظائف ، ومن المساهمين في نهضة السردية في تيارها الدلالي ؛ فقد درس النظام الداخلي للخرافة الروسية ، وكان يرمي من خلال ذلك إلى دراسة قوانين التشكل التي توجّه بنية الحكاية الخرافية[16].عن طريق تجزئتها إلى أجزاء، ومن ثم رصد العلاقات المتبادلة بين تلك الأجزاء بعضها ببعض وبالجموع فتوصل إلى فكرة(الوظائف)وان لهذه الفكرة أصولها التي تقوم عليها ،وقوانينها التي تسير في ضوئها.

قدم بروب نموذجه (الوظيفي) الذي يختلف عن نموذج (الحوافز)،لأنه يحتوي على عناصر ثابتة، وأخرى متغيرة، فالذي يتغير هو أسماء الشخصيات وأوصافها، والثابت الذي لا يتغير هو أفعال الشخصيات ووظائفها التي تقوم بها فستبعد " الملامح المتنوعة ، مثل الشخصيات ونعوتها ، أو حوافز الأفعال"[17]، وانصبّ جُلّ اهتمامه على العلاقة السببية بين الشخصية والفعل،التي بوساطتها تنمو الأحداث وتتطور حتى تصل إلى العقدة ثم تنحدر لتنتهي بالعقدة إلى حلها[18].

وقدعرف منهج بروب بالمنهج المورفولوجي نسبة الى كتابه(مورفولوجيا الحكاية) وتعني كلمة (مورفولوجيا) عند بروب " دراسة الأشكال . وفي علم النبات ، تحتوي المورفولوجيا دراسة الأجزاء المكونة للنبات ، وكذا العلاقات فيما بينها ، وفيما بينها وبين المجموع ، بعبارة أخرى ، دراسة بنية النبات"[19].

عكس بروب هذا المفهوم العلمي على المفهوم الأدبي وأصبح المنهج المورفولوجي بحسب مفهومه الأدبي يعني : اختزال التعدد أو التنوع في حبكات الحكايات إلى حد محصور من الأنماط والوظائف . فضلاً عن ذلك فقد أفاد بروب من تفريق (توماشوفسكي) ما بين القصة كمادة أولية وما بين الخطاب كصياغة لهذه المادة أو كما أسماها بالمتن الحكائي والمبنى الحكائي " فالمتن الحكائي هو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها التي تكوّن مادة اولية للحكاية ، أما المبنى الحكائي ، فهو خاص بنظام ظهور هذه الأحداث في الحكي ذاته "[20].

وانطلاقا من هذا فقد درس بروب الحكاية اعتمادا على بنائها الداخلي أي على دلائلها الخاصة ، فحاول تحديد الوظائف التي تقوم بها الشخصيات في الحكايات العجيبة بإحدى وثلاثين وظيفة.

اعتمد بروب في تعريفه للحكاية الشعبية اعتماداً على فاعلية الوظائف داخل بنية الحكاية، فالحكاية الشعبية – حسب طروحاته – تتألف من عدة وظائف متتالية تبدأ بالإساءة أو الشعور بالنقص وتنتهي بالزواج أو بأية وظيفة أخرى تمكن من حل العقدة .

إما الأسباب الكامنة وراء تأليف كتابه(مورفولوجيا الحكاية) كما يشير في الفصل الأول من هذا الكتاب، إلى ما يسميه هو (تاريخ المسألة) اذ يرى أن كل الدراسات السابقة له التي درسة الخرافات العجيبة كموضوع لها اتسمت –على رغم من كثرتها - بنوع من الغموض، وعدم التدقيق،مع غياب طابع العلمية عنها، وهي على حد قوله (تذكرنا بأعمال فقهاء فلسفة الطبيعة) في فهو لا يعزي المشكلة إلى غياب المادة، بل لضعف المناهج المعتمدة.

ويعد كتاب بروب (مورفولوجيا الحكاية الشعبية) بمثابة نقطة تحول حاسمة في دراسات الفولكلور على مستوى العالم.

الثابت والمتغير في منهج بروب

يعد بناء الحكاية وفق منهج بروب قائماً على مجموعة من الاحداث تؤدي وظائف محددة، ويرى بروب ان هذا البناء يعتمد وحدات خاصة تعرف بالأحداث الثابتة، ويمكن التعرف عليها بالشكل دون المضمون[21].

قدم بروب نموذجه (الوظيفي) المقترح الذي يختلف عن نموذج (الحوافز)، لأنه يحتوي عناصر ثابتة، وأخرى متغيرة. فالذي يتغير هو أسماء الشخصيات وأوصافها، والثابت الذي لا يتغير هو أفعال الشخصيات ووظائفها التي تقوم بها، فستبعد الملامح المتنوعة ، مثل الشخصيات ونعوتها ، أو حوافز الأفعال[22] وانصبّ جُلّ اهتمامه على العلاقة السببية بين الشخصية والفعل ، التي بوساطتها تنمو الأحداث وتتطور حتى تصل إلى العقدة ثم تنحدر لتنتهي بالعقدة إلى حلها[23].

وعلى الرغم من ان الشخصيات قد تبدو ثابته في الحكاية إلا أنها لا تشكل هي وأبعادها وحدات نمطية، المهم هو الحدث ووظيفته أما معرفة فاعل الحدث أو وسيلته فإنها لا تدخل في بناء الحكاية.

إذن الثوابت عند بروب تتمثل في الوظائف من دون الظروف، وهي الأجزاء الأساسية في الحكاية اما الشخصية هي القيمة المتغيرة لذلك لم يهتم بروب بالشخصيات ومبرراتها النفسانية، بوصفها وحدات متغيرة، لا تُسهم في استنتاج القيمة الوظيفية.

ويدخل العنصر (الكمي) في تحديد عدد ثابت للوظائف المتكرر في الخرافات ويمكن ان نطلق عليها القيم الثابتة[24]، فعدد الوظائف محدد (لا يتجاوز إحدى وثلاثين وظيفة) تتسم بالتناظر الصارم، والحرية مقيدة

الى درجة يمكن تحديدها بدقة؛ لأن الوظيفة تتحدد بمقتضى ما يترتب عنها، وبهذا يكون الفعل محدداً بمعزلٍ عن المكان الذي يشغله في مجرى الحكاية .

ان تتابع الوظائف وترتيبها في الخرافة هو مبدأ ثابت في كل الحكايات على الرغم من إنّ الحكايات لا تتوفر دائماً على كل الوظائف، غير أنّ هذه الوضعية لا تغير في شيء من قانون تتابعها.

الشخصية عند بروب :

تعد الشخصية من القيم المتغيرة في منهج بروب وتصدر عنها هذه الوظائف او تقوم بها في سياق الحكايات الخرافية، على ذلك تتغير وتتبدل أسماء الشخصيات وصفاتها[25] .

لاحظ بروب بعد استقراء مئة حكاية خرافية انها تحتوي نوعين من القيم أحداهما ثابتة والاخرة متغيرة، الثابتة الوظائف وافعال اطلق عليها(الوظائف) اما المتغيرة هي اسماء الشخصيات وصفاتها والاماكن التي تنتقل لها الشخصيات في الحكايات الخرافية، من هذه الملاحظات وضع بروب خطة عمله التي ترتكز في الأساس على القيم الثابتة ، وهي وظائف الشخصيات في الحكايات الخرافية، وجد اختلاف في الشخصيات واختلاف اعمارها وزمنها الا انها تقوم بإفعال محددة لا تتغير فالشخصيات متعددة كثيرة والوظائف رتيبة ثابتة وقليلة.

لاحظ بروب ان القائمين بالفعل يقومون بأفعال محددة، وان لكل شخصية دائرة وظائف محددة اطلق عليها "دوائر فعل الشخصية" وهي سبعة:

1-دائرة فعل البطل 2-دائرة فعل الشرير3-دائرة فعل المرسل 4-دائرة فعل المساعد5-دائرة فعل الشخصية المرغوبة 6-دائرة فعل البطل المزيف7-دائرة فعل المانح[26].

وكل دائرة من الدوائر السبع التي حددها بروب تقابلها مجموعة من الأدوار، يمكن أن تؤديه اي شخصية من الشخصيات السبع.

وظائف الشخصيات :

عندما اعتمد فلاديميربروب في دراسته على مائة خرافة من عجائب الخرافات، لاحظ أن الوظائف المتضمنة في كل هذه الحكايات محدودة ،تكون الأساس البنائي لجميعها، فالخرافة تبدأ بوضع أولي، ويرمز لها ب (α) لا يعدها وظيفة مستقلة، تشمل تعداد أفراد العائلة اذ لا يقدم البطل المقبل إلا عن طريق ذكر اسمه أو وصف حالته. ثم يحصرها بعد ذلك في واحد وثلاثين وظيفة ،وهو لا يعني بذلك تحققها بأكملها في كل حكاية، فقد يحصل هذا في بعضها ويغيب في أغلبها. ويمكن ترتيبها على الصورة الاتية :

النأي : يكون من فعل راشد ويتجلى في ابتعاد الأب عن الأسرة، أو الوالدين معا .

المنع : نهي الشخصية (موضوع الحكاية) عن القيام بفعل محدد .

الانتهاك : يتجسد في خرق المنع المشار إليه سلفا.

الاستنطاق: محاولة المعتدي الاستخبار عن معلومات تخص البطل.

الإخبار : إطلاع المعتدي على أخبار تتعلق بالضحية .

الخدعة : خداع المعتدي للضحية بانتحال شخصية أخرى .

التواطأ : وقوع الضحية في حبال الخدعة، وانسياقه لرغبات المعتدي .

الإساءة : إلحاق المعتدي بضرر بأحد أفراد العائلة.

النقص: إحساس أفراد العائلة بنقص ناتج عن إساءة المعتدي .

الوساطة : إدخال البطل إلى مسرح الأحداث.

الاستهلال وبداية الفعل المعاكس: قبول البطل للمهمة .

الانطلاق: مغادرة البطل وبداية المهمة .

وضعية الواهب الأولى : تعرض البطل للاختبار قصد تلقي الأداة السحرية .

رد فعل البطل: البطل يرد على فعل الواهب .

استلام الأداة السحرية : وضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل .

التنقل بين مملكتين: انتقال البطل إلى مملكة أخرى رفقة دليل

المعركة: نشوب مبارزة بين البطل والمعتدي

العلامة : تلقي البطل لعلامة تعين وتحدد هويته .
الانتصار : البطل يهزم الشخصية الشريرة .
الإصلاح: إصلاح البطل للإساءة، وزوال النقص .
العودة : انطلاق البطل في طريق العودة إلى بلده .
المطاردة : شخصية شريرة تقتفي أثر البطل .
النجدة : نجاة البطل من الهلاك .
الوصول متنكرا : وصول البطل خفية إلى بيته أو بلده .
الدعاوى الكاذبة : إدعاء البطل المزيف الحق لنفسه .
المهمة الصعبة: تقترح على البطل مهمة عسيرة قصد إنجازها .
المهمة الناجزة: تمكن البطل من إنجاز المهمة العسيرة .
التعرف : التعرف على البطل من خلال العلامة .
الاكتشاف : يتم اكتشاف أمر البطل المزيف .
تغير الهيئة : يكتسي البطل مظهرا جديدا لائقا .
العقاب: معاقبة البطل المزيف أو المعتدي .
الزواج : زواج البطل (وصوله إلى العرش)[27].

وجد بروبٍ ان لكل وظيفة من هذه الوظائف أشكالها وأنواعها وأساليب تحققها [28]. وقد اغفل بروب عن حقيقة مهمة في منهجه
وهو الجانب الرمزي التأويلي في صياغة الوظائف وترتيبها، وقد ذكر بروب ذلك في في مقدمة كتابه حين حدد "("تاريخ المشكل) وبين عدم عنايته بهذا الجانب، فهو الجانب المسكوت عنه الذي يفسح المجال أمام دراسات قادمة لاستيفاء جوانب البحث فيه بعد تحديد وجدولة الوظائف السردية)[29].
يُعد منهج بروب تجريبيا قابلاً للتطبيق على الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى وهو السبب الذي يفسر النتائج التي حققها أنصار منهج بروب وعلى رأسهم (ألان دندس) و (ميهاي بوب)

تسلسل الوظائف :

إن تتابع هذه الوظائف تتابعاً سببياً، إذ يكون ظهور إحداها ملزماً لظهور الأخرى وهي من أهم سمات الحكايات الخرافة،اذ أن ترتيبها الكرونولوجي هو مبدأ قار في كل الخرافات، وفي بعض الحكايات لاتتوفر كل الوظائف، إلا أن هذا الامر لا يغير شيء من قانون تتابعها، بمعنى أن غياب بعض الوظائف لا يبدل ترتيب ما تبقى. فالتسلسل يراعى وإن سقطت بعض الوظائف المكونة للحكاية.
ويمكن ان تختصر بعض الحكايات وظائفها إلى أقل من (31) وظيفة، أو أن تتكرر الوظيفة الواحدة طوال مسار الحكي[30]، وقد تتقدم أو تتأخر الوظائف عن مواقعها مع الوظائف المحفزة لها،وتقوم الشخصيات بهذه الوظائف ، فتتبنى كل شخصية عدداً من الوظائف للقيام بها،على أن يُعطى لكل وظيفة رمزاً خاصاً بها ، فمثلاً وظيفة (الإساءة) تحمل الرمز (A)[31] ، وهكذا سائر الوظائف .
أن كل الحكايات العجيبة حسب منهج بروب تنتمي إلى النمط نفسه،من حيث بنيتها أي أنه بعد عزل الوظائف يغدوا بإمكاننا تكتيل الخرافات التي تتراصف فيها الوظائف نفسها ، بحيث يمكن اعدها خرافات من النمط ذاته،و يمكننا تلخيص منهجية بروب وفقا لما يأتي:
أولا: اختار بروب عدداً من الحكايات الخرافية الروسية.
ثانياً: قام بتقسيم التفاصيل داخل الحكاية الواحدة إلى عناصر، وأطلق على كل عنصر منها اسم الوظيفة.
ثالثاً: ان هذه الوظيفة هي الحدث أو عمل الفاعل في القصة الذي يأتي ضمن سلسلة من الأحداث المبرمجة.
رابعاً: ان هَذِهِ الحكايات تخضع لحبكة واحدة مؤلفة من واحد وثلاثين عنصرا، يتبع كل عنصر الآخر بالترتيب نفسه.

البنية الوظيفية في الرسالة القشيرية

عرف بروب الوظيفة بأنها :"فعل شخصية قد حدد من وجهة نظر دلالته في سيرورة الحبكة"[32] فهي تعني الفعل الذي تقوم به شخصية معينة الذي قد يؤثر سلباً أو إيجابياً في السياق العام لتلك الحكاية[33]، بعد

تجريد ذلك الفعل، وعزله عن الشخصية التي تقوم فتكون الوظائف بذلك عناصر ثابتة في الحكاية[34].أو هي الأفعال المحدودة التي تقوم بها الشخصيات، التي يكون لها تأثير واضح على تطور الحبكة القصصية[35]، على أن أفعال الشخصية ينظر إليها من دلالتها على ذلك التطور[36]، وينماز الفعل بأنّ له القابلية "لأن تتولد عنه أفعال متعددة ، وتساهم مجتمعة في تطور الحكي، وتتولد من الصيرورة مجموعة أخرى من الأفعال تظل مشدودة إلى الفعل الأول بروابط متينة"[37]، وهو ما يكون مجموعة الوظائف المساهمة في تشكيل دلالة الحكي وتطور الحبكة على ألاّ تُراعى الشخصية المنفذة للفعل، من حيث صفتها أو فكرها[38]، وكذا غاياتها التي تقودها إلى إنجاز هذا العمل أو ذاك .

ام الأنماط الوظائفية تعد" فلسفة العقل أو الذهنية التي خلقت هذه الحكاية وهي ليست ذهنية واحدة. لأن القصص والحكايات نتاج شعب عبر عصور وأزمنة متعاقبة. فتتخلص قيمة (الوظيفة) في البنية الحكائية بوصفها استجابة لوعي المجموع، وحاجات الإنسان والجماعات وموقفه من حركة الوجود والأشياء والقيم من حوله"[39]

ومن ثم نستطيع القول: إنّ الوظيفة هي ما نعقله من علاقة العناصر بعضها ببعض داخل بنية النص، وأثرها، وطريقة أدائها.

ستبدل دندس مصطلح بروب " وظيفة " بمصطلح " الموتفيم "Motifeme، و هو مصطلح مشتق من عالم اللغويات " كينيث بايك " K. Pike، واقتراح استعمال مصطلح " ألوموتيف " Allomotif للدلالة على الموتيفات التي هي جزء من الموتيفيم، وكان "دندس" يأمل بذلك أن يقيم جسرا بين استعمال ستيث تومسيون الغامض لمصطلح "موتيف" وهو المصطلح انتشر بصورة واسعة في دوائر الفولكور- وبين مصطلحات أكثر دقة وصرامة قائمة على أساس نماذج بنائية تمثل الأنواع الفولكلورية، تمثيلا دقيقا محكما[40].

أنماط الوظائف

- **بنية الاستهلال السردي**

الاستهلال جزء مهم من أجزاء النص السردي، يقصد به : "بدء الكلام، ويناظره في الشعر المطلع، وفي فن العزف على الناي. الافتتاحية، فتلك كلها بدايات كأنها تفتح السبيل الى ما يتلو"[41]، فالاستهلال بداية النص وافتتاحه، وهو أول ما يقع في السمع من الكلام[42].

على الرغم من أن بنية الاستهلال لا تشكل وظيفة في الحكاية إلا أنه يمثل وضعاً تركيبياً (موروفولوجيا) مهماً [43] يهيئ ذهنية المتلقي للوظائف الأساسية التي سينهض بمهامها البطل في الحكايات، والوضع الأولى غالباً ما يخلق بعداً تشويقياً فضلاً عن خلق (أفق توقع) يمكن الركون إليه في تحديد عام لنمط الشخصية ولجغرافية الحدث الحكائي[44].

وللوضع الأول أهمية كبيرة في دراسة بنية الحكاية يمكن تلخيصها بالاتي:

1. اثارة انتباه القارئ وجذبه نحو العمل الأدبي وتشويقه للمتابعة
2. التلميح عن محتوى النص ومغزاه، باستعمال ابسط العبارات لإيصال مايريده المؤلف للقارىء من فلسفة.
3. يبين العقلية التي ينتمي إليها المؤلف ويؤمن بها ويحاول بثها في نصه.

جاء الاستهلال في الرسالة القشيرية على الانماط الاتية:

وردت جمل الاستهلال في ورود بصيغ متنوعة مثل : (يقول ابو جعفر البلخي) و(قال الجنيد) ،(وروي) و(سمعت استاذي) و(وقال)...(وحدث)[45] وغيرها من الجمل الاستهلالية الواردة بالصيغ السابقة نفسها او ما يماثلها.

لقد استهل السرد بالعبارات (سمعت ، وقيل ، بلغني، وحدث ...) وهي عبارات سردية – قديمة أكثر الساردون من استعمالها في بدء سردهم– لها دلالتها الخاصة ودورها في بناء النص السردي مهما كانت صيغها الواردة فيها، فإنها تعد ادوات سردية مهمة؛ لاتصافها بعدة امور منها:

1. أن أول ما تفصح عنه تلك العبارات (قال، حكى، روى، حدث ...) هو طابع المتن الأدبي، لان مثل هذه العبارات او الأفعال تبعد المسرود عن التوثيق والتاريخية، وتوحي بان الخبر سوف ينحو منحىً حكائياً فنياً[46].

2. تعلن تلك العبارات للمسرود له ان السرد قد بدأ وتحدد نوعه[47].
3. تشير تلك العبارات الى ان الاستهلال في الرسالة القشيرية كان نوعاً من الإسناد الذي انحدر من تقاليد الإسناد في فن الخبر[48].

ولعل السارد لجأ إليه لأنه كان تقليداً متعارفاً عليه في التراث العربي، واستمراراً للإسناد في السنة النبوية، فضلاً عن ان طبيعة الأخبار المروية الشفاهية التي انطوت عليها الرسالة القشيرية تستوجب اسناد السرد في سلسلة من الساردين ،ترى الدكتورة ناهضة ستار ان سبب ضهور الحاجة التوثيقية في الحكايات الصوفية يعود الى سببين هما:

- التجربة الصوفية غير مألوفة وهي تمارس بشكل ذاتي ولايوجد مايثبت صحتها من شهود وان وجد الشاهد لايستطيع المشاركة، لأن التجربة الصوفية رؤية قلبية لا عيانية. لذلك ظهرت الحاجة للاقناع لمتلقي مشكك وغير واثق[49].
- "إسناد (فعل) لا معقول لـ (شخصية) معهودة على الصعيد التاريخي والمذهبي"[50].

لذلك اهتموا بذكر أسماء الرواة وسلسلة الاسناد في القصة، كأنها من اخبار التاريخ أو الاحاديث، ووضعوا حوار مفصل بيم الشخصيات.

تكشف عبارات الاستهلال (حدث، روى، قال ...) عن وجود سارد اول. يتقدم الساردين المذكورين سالفاً، فالذي أبدع القصة هو الذي ابدع معها تلك العبارات. ومما يؤكد ذلك ياء المتكلم التي يصطنعها السارد في بعض عباراته الاستهلالية،اذ تدل على انه هو الذي يسرد، وهو المستحوذ على خيوط الحدث، والمتمكن من مكوناته السردية في مختلف مظاهرها واشكالها، وتعني ان السارد يسرد من الداخل فيرمي الحدث الى الخارج، اي ان السارد يعمد الى ربط المسرود له ربطاً قوياً منذ انطلاقة البداية السردية[51] .

تحديد الوضع الأول للحكاية والبطل والأحداث بافتتاح الحكاية بالمكان أو والزمان _وهو ما يطلق عليه فضاء الحكاية[52] يؤطر الحكاية، فيجعلها ضمن أطار زمكاني محدد يمنحها صفة الواقعية ،ويبعد شك عن صحتها، وقد تبداء الحكاية بذكر نعوت شخصيات الحكاية أو إحداها، واسم البطل. وهذا ما يدعوه توماشفسكي بـ (التحفيز التأليفي) "إن إشارة الكاتب القاص إلى شيء ما بصورة عابرة في الحكي لا بد أن يكون له معنى فيما سيأتي من ألحكي"[53].

4. عدم أطالة المقدمة حتى لايهجم السأم على المتلقي أو المروي له وتقطع عليه استعداده لتلقي الحدث الرئيس والمهم في القصة

ومما تقدم ان الاستهلال في بداية حكاية الرسالة القشرية يعتمد على عدة انماط محددة تسعى الى تهيئة القارئ لما يقوله من قصص قابلة للتشكيك والتكذيب والاستفهام.

الوظيفة: النأي، الابتعاد والارتحال

يمثل الناي الوظيفة الأول عند بروب ويحددهاـ "ان احد أفراد العائلة يذهب بعيد" [54]وتمثل هذه الوظيفية فعل شخصية تنتمي للجيل الراشد في الأسرة[55]،فالغرض الوظيفي من الرحيل هو أبعاد احد الأشخاص وعند المغادرة تنقلب حالة الهدوء والرتابة بسبب هذا الحدث المفاجئ الذي لجاء اليه البطل مضطراً ليتغير –بسببه –خط سير الأحداث في الحكاية [56].

والصوفي دائم الترحل في ملكوت الله بحث عن حقيقة الكون والوجود ،كذلك تعبد لله بواسطة التأمل في الكون وهو في اصطلاح القوم (سياحة) أي الضرب في الأمصار والبلدان من دون حاجة. اويرحل من اجل الاستزادة في طلب العلم او تتلمذ على يد العلماء ولا ننسى المقولة الصوفية (النظر في وجه العالم عباده) او من اجل الحج أو طلب الرزق. فالحركة دائمة بالجسد والعقل والرحيل مستمر من مكان إلى أخر ومن عالم إلى عالم أخر.

فالناي، هو الوظيفة المهيئة لحصول عنصر الدهشة في الحدث الذي سيأتي بعدها وتأتي على الإشكال الآتية:

- **رحيل إحدى الشخصيات لزيارة أحد أولياء التصوف للتزود منه أو السلام عليه** كما في الحكاية أبي الحسين الدرّاج حينما قصد يوسف بن الحسين الرازي من بغداد، الى الريّ[57] سأل عنه فلما وصل

الى مدينته وبدء يسال الناس عنه وعن منزله صدمه الناس بتلقيب يوسف بن الحسين الرازي الزنديق؟!

فالرحيل في هذه الحكاية هو بمثابة الممهد لحصول الاختبار في تصديق كلام الناس وما يقال عن هذا الشيخ الصوفي وهذا الاختبار الأول والرئيسي الذي مهد لاختبار أخر تعرض له أبي الحسين الدرّاج من الشيخ حينما رآه واخبره انه قاصد رؤيته، فقال الشيخ له: "لو قال لك إنسان في بعض البلدان: أقم عندي حتى أشتري لك داراً أو جارية، أكان يمنعك عن زيارتي؟ "[58] .

اذن فإنّ وظيفة الرحيل مهدت لحصول الاختبارات اللاحقة للبطل في الحكاية. ومثلها ما يروى عن أنس بن مالك عندما دخل على عثمان ابن عفان فقال: "دخلت على عثمان بن عفان [59]والاختبار وقع في الطريق اثناء الرحيل حيث اذ امراة فتأمل محاسنها فالرحيل كان سبب لوقوع الاختبار.

- **الذهاب إلى الحج**

" قال أبو عبد الله بن خفيف: دخلت بغداد قاصداً إلى الحج وفي رأسي نخوة الصوفية، ولم آكل الخبز أربعين يوماً، ولم أدخل على الجنيد، وخرجت ولم أشرب الماء إلى زُبالة، وكنت على طهارتي، فرأيت طبياً على رأس البئر وهو يشرب، وكنت عطشان، فلما دنوت من البئر ولى الظبي، وإذا الماء في أسفله.. فمشيت وقلت: يا سيدي، مالي محل هذا الظبي؟! فسمعت من خلفي: جربناك فما صبرت!! ارجع وخذ الماء."[60]

- **زيارة بيت المقدس**

"وقال إبراهيم بن أدهم: بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس؛؛ فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم.

فقال: ذاك الذي حط بالله سبحانه درجة من درجاته"[61]. فالحكاية الملكان مع إبراهيم بن أدهم لم تحصل في مدينته لكنها حصلت في بيت المقدس لتأكيد على قدسية الكلام وللتمهيد للاختبار الرئيسي

- **الذهاب إلى الجهاد**

"حكي عن حاتم الأصمَّ، أنه قال: كنت في بعض الغزوات، فأخذني شخص فأضجعني للذبح فلم يشتغل به قلبي، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فيَّ ،فبينما هو يطلب السكين من حقِّه أصابه سهم غرْب. فقتله، وطرحه عني فقمتُ"[62]

- **سفر طويل مع جماعة**

حديث الغار الذي يروى بسلسلة روائية طويلة تصل إلى أبي اليمان قال حدثنا شعيب عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: "قال رسول الله (ص): انطلق ثلاثة رهط ممن كانوا قبلكم فآواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: أنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم"[63]

وحديث "أحمد بن يوسف قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال: حدثني أبي قال: حدثني أبو إبراهيم اليماني قال: خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم"[64]

- **التجارة**

قصة تاجر بغداد التي حدثت في زمن الرسول التي تروى بسند طويل الى ان تصل الى انس ابن مالك "قال: كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتَّجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام، ولا يصحب القوافل توكلاً منه على الله، عز وجل"[65]

- **السفر من مكان إلى أخر**

مثل قصة (الخواص في البادية) حين اصطحب أحد أصحابه في البادية فقال "كنت مع إبراهيم الخواص في البادية سبعة أيام على حالة واحدة"[66]

وكثيرا ما يذكر ان حكاية التحول اكثر شيوخ الصوفية من طريق الانغماس بالملذات الى طريقة الأيمان وزهد تبداء برحلة الى مكان ما ومن هذه الحكايات حكاية "أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كُورة بلخ، رضي الله تعالى عنه،[67] كان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيِّداً"()

دلالة وظيفة النأي:

تكتسب وظيفة النأي دلالة استراجعية لحدثٍ مضى، إذ يعود الراوي إلى الماضي ليسرد أحداث الحكاية، الأمر الذي يجعل عملية الاستذكار تتصف بالاختزال في الأحداث فتظهر الحكاية موجزة ومكثفة، وتكسب الحكاية حالة التشويق. فالقص الصوفي ذاتي يعتمد على الاسترجاع فزمن القص تالٍ لزمن الحكاية والاسترجاع قد يودي في بعض الأحيان إلى الحذف بمعنى اخر "أن الروي يعمد إلى عملية أشبه ما تكون –بما يسمى بلغة السينما –بـ (المونتاج)، فتظهر الحكاية موجزة، قصيرة مكثفة، تبنى على ثيمة جوهرية تعتمد على بث حدث هو فوق التصور العقلاني، ليثبت مزية الصوفي على غيره من الناس واستئثاره بعلم الباطن"_[68]فوظيفة الناي تمهد إلى ظهور الوظيفة الأخرى.

الوظيفة: الاختبار

لما كان الاختبار يدخل ضمن تركيب الحكاية، ويدور حول قدرة الفاعل وطاقته على الانجاز، لذا فإنه يدخل في حيّز الوظائف ويحتويها وهو يحمل تسلسل الثانية عشر ضمن منهج بروب وهو في موقع متأخر نسبياً في تسلسل الوظائف وذلك بسب ان الحكايات الصوفية مختزلة جداً وتميل إلى تكثيف، فالمهم في الحكاية الصوفية تركيز على المغزى والغاية من سردها لذلك كثير ما تختزل ولأن طبيعة الوظائف السردية تفرضها النماذج المحللة فلم يشترط بروب وجود الوظائف جميعها في كل الحكاية فقد يتباين أعدادها لكن يراعى تسلسل الوظائف.

والحكايات الصوفية في الرسالة القشيرية لا تعرض سوى حادثٍ واحدٍ فقط أو سلسلة من الأحداث ولذلك فهي بدلاً من أنْ تكون سلسلة من الوظائف، فإنّها كثيراً ما تتضمن وظيفةً واحدةً فقط أو تصل في أقصاها إلى وظيفتين او ثلاث [69].

لذلك تحتوي هذه الوظيفة (اختبار) كلَّ تطورات الأحداث الحكائية حتى تصل إلى الأزمة أو الحبكة([70]) وسنحاول توضيح البنية الوظيفية في الرسالة القشيرية ، إذ ترد وظيفة اختبار على الأشكال الآتية:

- **البطل يختبر بالمال**

"قصة عطاء الأزرق وجراب القمح"[71] حين دفعت إليه امرأته درهمين ليشتري لهم دقيقاً، فوجد في الطريق جارية تبكي أضاعت درهمين دفعهما إليها مولاها وهي تخشى على نفسها منغضبه، فأعطاها الدرهمين وقضى نهاره كله، إلى ما بعد العتمة في حانوت صاحبه النجار شاكياً له حاله وخوفه من سوء خلق زوجته فدفع إليه جراباً فيه نشارة إذ لا يساعده الإمكان في شيء آخر. فحمل النشارة وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة ليكون النوم أخذهم ولا تتطيل عليه المرأة. فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز.

- **البطل يختبر بالإغواء من النساء :**

كما في قصة جريح الراهب التي رويت بسند طويل عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وهي احد الكرمات التي وردت عن السنة النبوية الشريفة وقد تناثرت داخل الرسالة القشيرية وراوي الرواية ابو هريرة ،مفادها ان جريج كان رجلا عابداً في بني إسرائيل، وكانت له أمٌّ، فكان يوماً يصلي فاشتاقت إليه أمه. "فنادته فلم يلبها فقال: يا رب، الصلاة خير أم آتيها؟ ثم صلى. فدعته، فقال مثل ذلك ثم صلى فاشتدّ على أمه. فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات"[72] فتعرض لإغواء شديد من قبل امرأة زانية، ولم يرضخ لها ،فلما يئست منه تركته وذهبت الى راعي كان يأوي بالليل إلى صومعة الراهب فأغوته،فحملت منه ، وعندما ولدت سئلها الناس ابن من هذا ؟قالت ابن جريح الراهب ! فاتاه الناس وكسروا صومعته وعند ذلك دعا الله ،ثم سال الطفل من أباك فتكلم وقال:انا ابن الراعي عند ذلك ندموا بني اسرائيل ندم شديد[73]

- **البطل يختبر بالأشراف على الموت والهلاك**

ذكرت الرسالة القشيرية الكثيرة من هذه القصص منها قصة أبو حمزة الخراساني حينما خرج الى الحج وفي الطريق سقط في بئر يقول :" فنازعتني نفسي أن أستغيث، فقلت: لا والله، لا استغيث فما

استنتمت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان: فقال أحدهما للآخر: تعالي حتى نسد رأس هذه البئر، لئلا يقع فيها أحد.. فأتوا: بصب وباربة، وطمو رأس البئر"[74]
وارد أن يستغيث لكن تذكر الله ولم يستغيث الا به فجعل رجائه بالله، وقد أوشك على الموت ، ثم جاء شيء فمد رجله اليه وخرج بواسطته وكان هذا الشيء هو أسد، وهتف به هاتف قائلاً: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن!! نجيناك من التلف بالتلف.
كذلك قصة تاجر المدينة الذي كان يقطع الصحراء هو وقافلته من غير حرس القوافل توكلن على الله وصادف في يوم اعترض لص طريقه وحاول ان يغريه بالأموال حتى يدفع الموت عن نفسه فلم ينثني الا ان يقتله فطلب منه مهلة يتوضأ ليصلي ويدعو الله. وبعد أن صلى ودعا ربه اتى فارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر، بيده حربة من نور، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس. فلما دنا منه شد الفارس على اللص، فطعنه طعنة أدراه عن فرسه فقتله .
كذلك (قصة الغار)التي تروى بسلسلة روائية طويلة تصل إلى أبي اليمان قال حدثنا شعيب عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله (ص):" انطلق ثلاثة رهط ممن كانوا قبلكم فآواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: أنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم"[75] فبدء الشباب الثالثة يرون حكايتهم و يبدأها الرجل الأول بذكر صالح أعماله، وهو بر والديه حين قضى الليل كله يحمل قدح الغبوق لوالديه وهما نائمان وقد كره أن يوقظهما، فظل على حالهِ إلى الصباح حتى سقاهما غبوقهما، وحكى الثاني قصته مع ابنة عم له يعشقها وقدر عليها وتعفف لوجه الله، ثم الثالث الذي أعطى كل ما يملك إلى أجير عنده لم يتسلم أجرته وقتها فدفع له كل ما يملك لأن هذا الخير كله هو من أجرة ذلك الأجير حين تراكمت وتوالدت.

دلالة وظيفة الاختبار

نجد في وظيفة الاختبار بأنواعها المذكورة انفاً تناقض كبير بين رؤية الصوفي للوجود، ورؤيته لذاته، وفكرة الناس عنه، وبين الموقف الآخر، لذلك اجتهد الصوفيون وبذلوا عناية كبيرة في التشخيص هذا الاختلاف والوقوف عليه وفي الوقت نفسه هناك اتفاق في زاوية النظر الى الشريعة والإسلام ، لكن لكل متعبد وجهة نظر وطريقة في تجسيد هذه الأفكار وإيصالها الى الناس، ونلاحظ انهم ركزوا عاى اظهر طريقهم مستمد من القران الكريم والشريعة الإسلامية وأنهم الحوا على أظهار هذه الفكرة بكل الطرق والوسائل.

وظيفة:حل الاختبار وتفسيره:

تختزل وظيفة (الإنجاز) الكثير من الوظائف التي ذكرها بروب.ويرى بعض الباحثين أنَّ الإنجاز يشغل مساحة تمتد من الوظيفة (ثلاثة عشر) إذ تقوم الإساءة، ويعود البطل، ويحصل الزواج والتتويج في الوظيفة الى الوظيفة (الواحدة وثلاثون) وتختم الحكاية[76].
فالانجاز يختزل الوظائف من (ثلاثة عشر) إلى (الواحدة وثلاثون)، وبذلك تكون الحكاية مكونة بما يشبه العمل الدرامي في الوقت الحاضر من (مقدمة، وعقدة، وحل، وانجاز).
ما تنماز به الحكاية الصوفية التكثيف والحذف والتركيز على المغزى منها، لذلك منهجها يختزل أكثر من وظيفة تحت أطار واحد لا يخرج عنها التفكير العقلي عن ما ارتسمت له من حدود.

أشكالها:

أن وظيفة الإنجاز تتحكم في نهاية القصص الصوفية، لذلك يلجاء الراوي إلى الإيضاح والتفسير والتعليل ليقربها إلى ذهن المتلقي بعد أن يفك رموزها ويؤول قيمتها الحكائية و يضهرها بصيغة تعليمية.
حل العقدة يكون باكتشاف نموذج خلقي عالي تنظر إليه الناس نظرة مخالفة فيحاول البطل إيضاحه وبيان مقام هذه الشخصية ورد الشبهات عنها، ففي قصة رحيل"أبي الحسين الدرّاج من بغداد إلى الرأي قاصد زيارة شيخ الصوفية يوسف بن الحسين الرازي"[77] فعند وصله الى المدينة وجد الناس تلقب الشيخ بالزنديق لكنه لم ينثني عن زيارته وبين عند مقابلته مكانة هذا الشيخ الجليل وسعة صدره وتسامحه مع اهل المدينة[78].

انتصار الاعتقادات الصوفي على الاعتقادات الأخرى جميعها: كما في قصة (تاجر بغداد)، كذلك(قصة أبو حمزة الخراساني والبئر) يتضح في نهاية القصص المذكورة ان توكل على الله وحده يكفي من غير اتخاذ أسباب السلامة والتدابير اللازمة للأمان حتى وان كانت طرق وقائية عادية لا تخالف الشرع.
كذلك الاعتقاد بان من يعمل صالح ويلقي اتكاله على الله يجز به خير الجزاء مثل (قصةالغار) وقصة (الراهب جريح والمرأة) فقد وقعوا في اختبار قوي ولم ينجهم الا أعمالهم الطيبة .
تأويل الرمز الذي يكتشف فيه الصوفي ما يشاهده في عيان ليس إلا خطاباً إلهياً تجسد في رسالة عبر مخلوقاته؛ مثل قصة (القنبر العمياء)التي رآها ذو النون في بعض اسفاره وتعجب في من يطعمها فإذا تنشق الأرض "فخرج منها سكرجتان: إحداهما ذهب، والأخرى فضة وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا"[79] وكان ما شهده سبب توبته فقد كانت رمز على ان الله كافاً عبد ورسال له لكي يرى قدرت الله وعظمته .
وأيضاً قصة التاجر الذي بات في بيت المقدس وسمع الملائكة تتكلم لنزوله من مرتبته بسب ذنب صغير ارتكبه ولم ينتبه فعاد إلى البصرة وأعطى الحق لصاحبه وعندما نام سمع الملكين نفسهما يتحاوران مع بعضهما لرجوعه لمكانته السابقة فكان ما سمع الهام الهي يفك رموزه ليتجنب الوقوع في الخطاء[80].

دلالة وظيفة حل الاختبار وتفسيره

ترمز هذه الوظيفة إلى أعمال الصوفية، وحرصهم على التقرب من الله باستعمال وسائل مختلفة، إذ تظهر وجهة نظر الراوي الصوفي واضحةً في حل الحبكة، فالغاية توظيف هذه (الحلول) لخدمة مذهبه، في استعمال الإشارة أو الرمز او يلجاء الراوي الصوفي الى تفسير لإيضاح الغاية او المغزى او يتوجه الراوي إلى القارئ مباشرةً فيخاطبه مبين المغزى الذي يريد او قد يتبنى الصوفي لغة الخطاب اللساني (سؤال وجواب) عن كشف دلالات القصة وفحواها بشكل تصريحي مباشر وكاشف، فيبدأ الحكاية جمالياً وفنياً، وينتهي بها تعليمية وعظية إرشادية، لا تترك مجالاً لظنون القارئ أو السامع وذلك لأن معرفة الصوفي –كما يتخيلها هو –هي أعلى من مستوى أي معرفة أخرى فهو يشتغل بعلم الباطن والحقيقة والناس تفقه علم الظاهر يتضح من ما مرّ إنّ البنية الوظيفية في الرسالة القشيرية متنوعة ومتعددة بتنوع وتتقدم وتتأخر في الترتيب من قصة إلى أخرى، ولكن اختزال الوظائف في (التمهيد، والعقدة، والحل، والإنجاز) جعلها تتصف بنمط واحد هوانها تبدا بالتمهيد ثم وظيفة الناي فالاختبار فالانجاز.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة للكشف عن وظائف سرد في تراثنا العربي القديم مستفيدين في ذلك مما توصل اليه علم السرديات بصورة عامة ومحاولة تقريب هذا المنهج من تلك النصوص في كتاب (رسالة القشيرية) وقد توصلت الدراسة الى نتائج عدة وهي:

1. شغلت القصص مساحة كبيرة من رسالة القشيرية لما فيها من تأثير يحقق الأثر المرجو على المستمع /أو القارئ في تثبيت صحة اعتقادات الصوفية
2. اثبت منهج بروب صحته للتطبيق على الحكايات والقصص التراثية لما فيه من وظائف متعددة تصل إلى إحدى وثلاثين وظيفة فضلاً عن الخاصية المطاطية التي ينماز بها منهج بروب وهي انه لا يشترط وجود الوظائف جميعها فقد تأتي واحدة أو أكثر مع وجوب تسلسل الوظائف، مما أعطاه مرون كبيرة.
3. القصص الصوفية تنماز بخاصية الاختزال والحذف في فقد وجدنها تحتوي على ثلاث وظائف بصورة رئيسية يسبقها التمهيد لها وظيفة النأي أو الرحيل والاختبار ثم وظيفة الحل والإنجاز
4. ان طبيعة المادة تتحكم في عدد الوظائف النص هو المتحكم.

الهوامش

[1] - الرسالة القشيرية :10
[2] - الرسالة القشيرية ،13
[3]- السردية العربية،عبد الله ابراهيم: 23
[4] - كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي: 7/226-227

[5] - لسان العرب المحيط، ابن منظور: 130/2
[6] - سورة سبأ: 10-11
[7] - جامع لأحكام القران القرطبي، القرطبي:ج67/14
[8] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني : 261/1.
في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني : 261/1
[9] - السردية حدود المفهوم، بول بيرون ترجمة: عبدالله ابراهيم، مجلة الثقافة الأجنبية، ع (2) السنة (12) 1992،
[10] - علم السرد، مدخل الى نظرية السرد، يان ما نفرد،ترجمة :اماني ابة رحمة، 10
[11] - موسوعة السرد العربي،عبد الله ابراهيم:8
[12] - المصدر نفسه:8
[13] - المصدر نفسه:9
[14] - فن القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم:16
[15] - البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل : 100
[16] - السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، د.عبد الله ابراهيم: 10
[17] - مورفولوجية الخرافة ، فلاديمير بروب ، ترجمة: إبراهيم الخطيب : 8
[18] - فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمن العيد : 125
[19] - مورفولوجية الخرافة : فلاديمير بروب ، ترجمة : ابراهيم الخطيب:17
[20] - نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس : تودوروف :180 .
[21] - بنية النص السردي، حميد لحمداني:25
[22] - مورفولوجية الخرافة ، فلاديمير بروب ، ترجمة وتقديم : إبراهيم الخطيب: 8
[23] - فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمن العيد : 125
[24] - بنية السرد في القصص الصوفية ، ناهضة ستار،148
[25] - المصدر نفسه،148
[26] مورفولوجية الخرافة ، فلاديمير بروب ، ترجمة وتقديم : إبراهيم الخطيب: 8-9.
[27] - المصدر نفسه: 40 -68
[28] - ينظر مثلاً وظيفة (إساءة) وتفرعاتها ، مورفولوجية الحكاية : 43 وما بعدها .
[29] - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ، ناهضة ستار:147
[30] - مدخل إلى نظرية القصة، : 282
[31] - مورفولوجية الخرافة ، فلاديمير بروب: 43
[32] - المصدر نفسه:35
[33] - الألسنية والنقد الأدبي، موريوس أبو ناضر:28
[34] - بناء النص التراثي ،فدوى مالطى :21
[35] - قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين : 33
[36] - مدخل إلى نظرية القصة : 53
[37] - قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية : 35
[38] - مورفولوجية الخرافة ، فلاديمير بروب: 79
[39] - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ، ناهضة ستار:164
[40] - نظريات الفولكلور المعاصرة ،دورسو،ترجمة وتقديم الأستاذ الدكتور حسن الشامي ،والأستاذ الدكتور محمد الجوهري:116
[41] - فن الخطابة، ارسطو، ت : عبد الرحمن بدوي : 235
[42] - كتاب الصناعتين، ابو هلال العسكري : 494، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير : 98/3.
[43] - مدخل إلى نظرية القصة /21
[44] - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ، ناهضة ستار:175
[45] - الرسالة القشيرية :98، 161،159
[46] - القص في اخبار الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي، البشير الوسلاتي : 122
[47] - الحكاية والتأويل ،عبد الفتاح كيليطو: 34
[48] - السردية العربية : 196
[49] - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ،.ناهضة ستار:158
[50] - المصدر نفسه:158

[51] - الف ليلة وليلة دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد لعبد المالك مرتاض، مجلة فصول، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ربيع 1994م: 111
[52] - الفضاء الروائي في الغربة الإطار والدلالة ،منيب محمدالبوريمي،21
[53] - بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، حميد لحمداني:22
[54] - مورفولوجية الخرافة : 39
[55] مورفولوجية الخرافة : 39
[56] - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ،.ناهضة ستار: 162
[57] - الرسالة القشيرية :230
[58] - المصدر نفسه :230
[59] - المصدر نفسه:154
[60] - المصدر نفسه:320
[61] المصدر نفسه:61
[62] - المصدر نفسه:64
[63] - المصدر نفسه: 161
[64] - المصدر نفسه:146
[65] - المصدر نفسه:173
[66] - المصدر نفسه: 171
[67] - المصدر نفسه: 260
[68] - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ، ناهضة ستار:163
[69] - بناء النص التراثي، فدوى مالطى،: 23
[70] - - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ، ناهضة ستار: 173
[71] - الرسالة القشيرية: 168
[72] - المصدر نفسه: 299
[73] - المصدر نفسه: 300
[74] - المصدر نفسه:107
[75] - المصدر نفسه: 173
[76] - - بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ، ناهضة ستار: 166
[77] - المصدر نفسه:230
[78] - الرسالة القشيرية :230
[79] - الرسالة القشيرية :14
[80] - الرسالة القشيرية/61

المصادر

القران الكريم
1. الألسنية والنقد الأدبي، موريوس أبو ناضر، دار النهار للنشر - بيروت، 1979.
2. بناء النص التراثي دراسات في الأدب والتراجم: فدوى مالطى، مؤسسة الخرسان للمطبوعات ط1، 2005 .
3. البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2008
4. بنية السرد في القصص الصوفية المكونات الوظائف والتقنيات دراسة ناهضة ستار،مطبعة اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2003
5. بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، حميد لحمداني،المركز الثقافي العربي ،دار البيضاء،ط3.
6. جامع لأحكام القران القرطبي، ا أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية ، القاهرة،ط2
7. الحكاية والتأويل ،عبد الفتاح كيليطو ، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 1988
8. الرسالة القشيرية ،شرح وتعليق نواف الجراح ،دار صادر ،بيروت،ط/2، 2006

9. السردية العربية القديم، ضياء الكعبي ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر ،ط/1 -2005
10. علم السرد، مدخل الى نظرية السرد، يان ما نفرد،ترجمة :اماني ابة رحمة، دار نينوى،2011
11. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، 1981
12. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل ،ط5
13. فن الخطابة، ارسطو، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة ،بيروت، ط.1.
14. فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد، دار الداب، 1998 .
15. فن القص في النظرية والتطبيق: نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
16. قال الراوي ،البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ،سعيد يقطين،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء،المغرب،ط1.
17. كتاب الصناعتين، ابو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،بيروت.
18. كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي،تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ،سلسل و معاجم والفهارس.
19. لسان العرب المحيط، ابن منظور،تحقيق عبدالله علي الكبير ،محمد احمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف، القاهرة.
20. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الاثير،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،مكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
21. مدخل إلى نظرية القصة،سمير المرزوقي وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية ، 1986
22. مورفولوجيا الخرافة، فلاديمير بروب، ترجمة :ابراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين- الدار البيضاء، ط /1، 1986 .
23. مورفولوجية الخرافة ، فلاديمير بروب ، ترجمة: إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، 1986م
24. موسوعة السرد العربي،عبد الله ابراهيم، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت،2021
25. نظريات الفولكلور المعاصرة،دورسو،ترجمة حسن الشامي ، محمد الجوهري،دار الكتب الجامعية، مصر.
26. نظرية ، نصوص الشكلانيين الروس : تودوروف ، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1982.

الدوريات

1. السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، د.عبد الله إبراهيم ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء، 1992م: 10.
2. السردية حدود المفهوم، بول بيرون ترجمة: عبدالله ابراهيم، مجلة الثقافة الأجنبية، ع (2) السنة (12) 1992
3. الف ليلة وليلة دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد ،عبد المالك مرتاض، مجلة فصول، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ربيع 1994
4. الفضاء الروائي في الغربة الإطار والدلالة ،منيب محمد البوريمي، آفاق عربية، بغداد (د. ت).
5. القص في اخبار الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي، البشير الوسلاتي،حوليات الجامعة التونسية،عدد 41، 1997